جماعة عباد الرحمن

العبـــــاد

العدد ٧

سلسلة العشرة المبشرين بالجنة

قال رسول الله ﷺ :

"لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيٌّ وحَوارِيَّ الزُّبَيْرُ"

الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م

يوزع مجاناً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الزبير بن العوام (رضي الله عنه)

اسمه ونسبه

هو الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان يُكنَّىٰ «أبا عبد الله».

قرابته من رسول الله ﷺ

يجتمع نسبه ونسب رسول الله ﷺ في قُصَي بن كلاب.

أمه صفية بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله ﷺ أسلمت وهاجرت.

النبي ﷺ ابن خاله.

عمَّةُ أبيه جدَّة النبي ﷺ، والسيدة خديجة رضي الله عنها عمته.

كان رضي الله عنه من السابقين إلىٰ الإسلام وفي ذلك روايات متعددة: عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن أنه بلغه أنَّ عليًّا والزبير أسلما وهما ابنا ثماني سنوات. وعن عروة أنه أسلم ابنَ ستَّ عشرة. وعلىٰ أي من الروايتين اعتمدنا فإنه أسلم وهو حديث السِّن.

وعن أبي الأسود أن الزبير كان رابع مَن أسلم أو خامساً. وعنه أيضاً أنه لما أسلم الزبير كان عمُّهُ يعلِّقُه في حصير، ويدخِّنُ عليه بالنار، ويقول له: ارجع إلىٰ الكفر. فيقول الزبير: لا أكفُرُ أبداً.

قاسىٰ مع المسلمين الأوائل أذىٰ قريش وفتنتهم، فصبر علىٰ ذلك، وهاجر إلىٰ الحبشة مرتين ثم إلىٰ المدينة. وروي عن أبي الأسود أنه ﷺ هاجر وهو ابن ثمان عشرة سنة.

تزوج الزبير ﷺ أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ، وابنُه عبد الله منها أول مولود وُلد للمسلمين بعد الهجرة.

عن سعيد بن المسيِّب رحمه الله قال: «كان الزبير أوَّل مَن سَلَّ سيفاً في سبيل الله عزّ وجلّ فدعا له النبي ﷺ بخير».

عن عروة قال: «كانت نفحة من الشيطان أنَّ محمداً ﷺ قد أُخِذَ، فسمعَ بذلك الزبير ـ وهو ابن إحدىٰ عشرة سنة ـ فخرج بالسيف مسلولاً، حتىٰ وقف علىٰ النبي ﷺ، فقال: ما شأنُك؟ فقال: أردتُ أن أَضربَ مَن أَخذَك. فدعا له النبي ﷺ ولسيفه. وكان أوَّلَ سيفٍ سُلَّ في سبيل الله عز وجل» (٥٥٥١ المستدرك، ٣/ ٤٠٦).

هذه الشجاعة النادرة التي ظهرت بوادرها في أوائل شبابه ﷺ كانت بدايةً لسلسلة طيِّبة من المواقف المشرِّفة في الجهاد والدفاع عن دين الله تبارك وتعالىٰ، حتىٰ اشتهر الزبير بن العوام ﷺ أنه من أبطال الإسلام وجنوده الأشداء.

جهاده

ونستعرض بعضاً من مواقف جهاده ﷺ التي سطَّرتها كتب

الحديث والسيرة.

■ في بدر:

عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: «نزل جبريل ﷺ يومَ بدر على سيماء[1] الزبير بن العوام وهو معتجر[2] بعمامة صفراء» (٢٣٠ المعجم الكبير للطبراني، ١/ ١٢٠)، وفي نزول جبريل عليه السلام بعمامة تشبه عمامة الزبير رضي الله عنه إشارةً إلى فضله وعلوِّ منزلته عند الله تعالى.

وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جـــدِّي ابـــنُ عـــمَّـــةِ أحـــمـــد ووزيـــــرُه
عـــنـــد الـــبـــلاء وفـــــارس الـــشـــقـــراءُ
وغـــــــداةَ بـــــدرٍ كـــــان أوَّل فـــارس
شَـــهِـــدَ الـــوغـــى فـــي الـــلامـــةِ الـــصـــفـــراءُ
نـــزلـــت بـــسـيـمـاهُ الـــمَـــلائـــكُ نُـــصـــرَةً
بـــالـــحـــوض يـــــومَ تـــأَلَّـــبَ الأعـــــداءُ

عن عبد الله بن يسار قال: «كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبيرُ على فرسٍ على الميمنة، والمقدادُ بن الأسود على فرسٍ على الميسرة».

(١) سيماء: هيئة.
(٢) معتجر: ملتف أو ملتحف.

لما انصرف المشركون من أُحُد وأَصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم؛ خافَ أن يرجعوا، فقال: من ينتدبُ لهؤلاء في آثارهم حتىٰ يعلموا أنَّ بنا قوة؟ فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمع المشركين بهم، فانصرفوا. قال الله تعالىٰ في شأنهم: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، ولم يلقوا عدوا.

■ في الخندق:

عَن جابر بن عبدِ اللَّه قال: نَـدَبَ[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يومَ الخَنْدَق، فانتَدَبَ الزُّبير. ثُمَّ نَدَبَهُم، فانتَدَبَ الزُّبَيْر. ثلاثاً. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ لكُلِّ نَبيٍّ حَوارِيٌّ، وحَوارِيَّ الزُّبير» (تهذيب الكمال، ٩/ ٣٢٤).

ويحدِّث ولدُه عبد الله ﷺ راوياً هذه الحادثة كأحد من شهدها حيث تهيَّأ له ذلك، لأنه كان صغير السنِّ حينها، قال: كنتُ يَوْمَ الأحزابِ جُعِلتُ أَنا وعُمَرُ بنُ أَبي سَلَمَةَ في النِّسَاء، فَنظَرتُ فإذا أَنا بالزُّبيرِ علىٰ فَرسِهِ يختَلِفُ إلىٰ بني قُرَيظَة، مَرتَين أَوْ ثَلاثًا، فلمَّا رَجَعتُ، قلتُ: يا أبتِ، رأيتُكَ تَختَلِفُ؟ قال: أَوَهَل رَأيتَني يا بُنَيَّ؟ قلتُ: نَعَم. قال: كانَ رسولُ اللَّه ﷺ. قال: مَن يَأتِ بَني قُرَيْظَةَ فَيَأتيني بخَبَرِهِم؟ فانطَلَقتُ. فلمَّا رَجَعتُ، جَمَعَ لي رسولُ اللَّه ﷺ أَبَوَيه. فَقالَ: «فِداكَ أَبي وأُمِّي» (٣٥١٥ صحيح البخاري، ٣/ ١٣٦٢).

أي أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو لبعضهم يقول: «فداك أبي»، ولبعضهم:

(١) أي دعا الصحابة ليذهب أحدهم ليستطلع خبر بني قريظة..

«فداك أُمي»، أما للزبير فقال ﷺ: «فداك أبي وأُمي».

كان الزبير رضي الله عنه من أبطال الإسلام المدافعين عنه، وشاءت إرادة الله تبارك وتعالىٰ أن يُكرمه بحضور كل الغزوات التي حضرها رسول الله ﷺ، لم تَفُتْهُ واحدةٌ منها. وفي هذه الغزوات أظهر شجاعةً باهرة وبطولة نادرة استحقَّ بها أن تُسطَّر سيرتُه في صفحات التاريخ المشرق.

وهذه السلسلة الطويلة من الجهاد في سبيل الله تعالىٰ تركت علاماتها في جسده الطيِّب الطاهر. يصف ولده عروة رضي الله عنهما إحدىٰ هذه الآثار قال: كانَ في الزُّبَير ثَلاثُ ضَرَباتٍ بالسَّيف، إحداهُنَّ في عاتِقِه[1]. قال: إن كنتُ لأُدخِلُ أصابعي فيها. قال: «ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ، وواحِدَةً يَوْمَ اليرموك» (٣٧٥٥ صحيح البخاري، ٤/ ١٤٦٠).

ولئن كان قادة الحروب يقلِّدون الأوسمة والنياشين علىٰ نجاحهم في الحروب، فإنَّ الأبطال الصادقين هم الذين يأتون بأوسمتهم من ساحة المعركة دليلاً صادقاً علىٰ شجاعتهم وإقدامهم.

عن علي بن زيد قال: «أخبرني من رأىٰ الزبير وإنَّ في صدره مثل العيون من الطعن والرمي» (صفة الصفوة، ١/ ٣٤٧).

وعن قيس بن أبي حازم عن الزبير بن العوام قال: «من استطاع منكم أن يكون له جنىً مِن عملٍ صالح فليفعل».

---

(١) عاتقه: كتفه.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير بن العوام إن طلحة بن عبيد الله التيمي يسمي بَنيه بأسماء الأنبياء. وقد علم أن لا نبي بعد محمد، وإني أُسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا؛ فسمىٰ عبدالله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة بن عبدالمطلب، وجعفرا بجعفر بن أبي طالب ومصعبا بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالدا بخالد بن سعيد، وعمروا بعمرو بن سعيد بن العاص قُتل يوم اليرموك.

كان طلحة والزبير رضي الله عنهما أخوَيْن في الإسلام، وصديقين متصافيَيْن، تشابهت أخلاقُهما وسيرتهما وحياتهما، وما ذُكر أحدُهما إلا وذُكر الآخر. وكان طلحة ﷺ يسمِّي أولادَه بأسماء الأنبياء تبرُّكا بهم وعسىٰ أن يكون أولاده علىٰ نهج الأنبياء؛ فجعل الزبير يسمِّي أولاده علىٰ أسماء من استُشهد من المسلمين علىٰ رجاءَ أن يرزقهم الله تعالىٰ الشهادة. (الطبقات الكبرىٰ، ٣/ ١٠١).

الجودُ والكرم

وكما استكملت الشجاعة والفداء في صدر هذا الصحابي الجليل، فكذلك استكمل الجود والكرم في صدره العامر بالإيمان وصدق اليقين. ومما يروي في هذا الشأن مما يدل علىٰ جوده:

عن عروة بن الزبير «أنَّ رسولَ الله ﷺ لَقِيَ الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فَكَسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ

بياض» (٣٦٩٤ صحيح البخاري، ٣/ ١٤٢١).

وخير من تكلَّم في المرء مَن عَرَفه وخالطه وعايشه؛ فهو أدرىٰ به بحكم التعامل والمشاهدة.

عن أبي اسحاق السبيعي قال: « سألتُ مجلساً فيه أكثر من عشرين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ: مَن كان أَكرمُ الناس علىٰ رسول الله ﷺ؟ قالوا: الزبير وعلي بن أبي طالب » (الاستيعاب، ١/ ٥٦٣).

وعلىٰ سبيل التمثيل لهذا الكرم الذي اشتهر به هذا الصحابي الجليل يُروىٰ عن جُوَيْرية قالت: « باع الزبير داراً له بستمائة ألف، فقيل له: يا أبا عبدَ الله غُبِنْتَ، قال: كلا، واللهِ لتعلمنَّ أني لم أُغبَن؛ هي في سبيل الله » (صفة الصفوة، ١/ ٣٤٦)، لقد تصدَّق رضي الله عنه بثمن الدار فجعله في سبيل الله تعالىٰ.

عن الأوزاعي، عن نَهيك، قال: «كان للزبير ألفَ مملوكٍ يؤدُّون الضريبة، لا يدخلُ بيتَ ماله منها درهم. يقول: يتصدَّقُ بها. وفي رواية أُخرىٰ: فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلىٰ منزله ليس معه منه شيء » (صفة الصفوة، ١/ ٣٤٦).

وكما كان كريماً مع الناس والمحتاجين، كان كذلك كريماً مع أهل الكرم والفضل والشرف. عن أم ذرة، وكانت تغشىٰ عائشة، قالت: «بعث إليها إبن الزبير بمال في غرارتين[1] قالت أراه ثمانين ومائة ألف درهم» (صفة

(١) غرارتين تثنية غرارة: وهي التي تُتَّخذُ للتِّبن وغيره .

الصفوة، ٢/ ٢٩).

روي أنَّ عثمان بن عفان والمقداد بن الأسود وعبدالله بن سعد وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم أَوصوا بأُسَرهم إلىٰ الزبير بن العوام؛ فكان يحفظ لهم أموالهم وينفق علىٰ أُسَرهم من ماله.

وقد يقول القائل: ومن أين تيسر للزبير ﷺ هذه الأموال الكثيرة حتىٰ يتصدَّق بها؟.. الجواب: أنه كان ﷺ تاجراً موفَّقا في تجارته، مبارَكٌ له فيها. وأما السبب الظاهر لذلك فيُروىٰ أنه كان محظوظاً في التجارة. فقيل: بما أدركت في التجارة؟ قال: لأنني لم أشتر معيباً، ولم أردَّ ربحاً، والله يُبارك لمن يشاء. إن الله تبارك وتعالىٰ جواد كريم، يحب الجود والكرم، فإذا كان أحد من عباده كريما فالله تعالىٰ يكرمه ويعينه علىٰ هذا الجود المحمود.

الزبير ﷺ سبب لرخصة

شاءت إرادة الله تبارك وتعالىٰ أن يكون الزبير سبباً لتيسير الأمر ورفع الحرج عن المسلمين؛ فقد أصيب ﷺ بمرض جلدي صحبته حكة في جسده، وأُصيب معه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، فاشتكيا إلىٰ رسول الله ﷺ، فأذن لهما في لبس الحرير أثناء المرض لأنه أرقُّ للجسم ويخفف من ألم المرض.

عن أنس بنَ مالكٍ أَنبأَهُم أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ رَخَّصَ لِعَبْدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوْفٍ والزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ في القُمُصِ الحَرير في السَّفَرِ مِن حِكَّةٍ كانَت بِهِما أوْ وَجَعٍ كانَ بِهِما (٢٠٧٦ صحيح مسلم، ٣/ ١٦٤٦).

فضله

لئن كان نبيَّ الله نوح عليه السلام يصنع الفلك بأمر الله تعالىٰ ووَحْيِه كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]؛ فإنَّ رسول الله ﷺ يربِّي أفضل الرجال بوحي الله تعالىٰ ورعايته. فلما أنار لهم السبيل انطلقوا في مدارج الكمال الإنساني حتىٰ بلغوا الغاية القصوىٰ رضوان الله تعالىٰ عليهم وثناءه الخالد واستحقّوا ثناء النبي ﷺ عليهم، ومن هؤلاء الزبير بن العوام رضي الله عنه.

ثناء النبي ﷺ عليه

عن جابر رضي الله عنه قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيٌّ وحَوارِيَّ الزُّبَيْرُ» (٢٤١٥ صحيح مسلم، ٤/ ١٨٧٩). والحواري لفظٌ يُطلق علىٰ من يَصلح للخلافة وعلىٰ الناصر والخليل والخالص من كل شيء. وسُمِّي الحواريُّون بهذا الإسم لبياض ثيابهم.

عن أبي هريرة أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كانَ علىٰ حِراءٍ[1] هُوَ وأبو بكرٍ وعُمَرُ وعُثمانُ وعَليٌّ وطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ فتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَة. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «اهْدَأْ فَما عَلَيْكَ إلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ» (٢٤١٧ صحيح مسلم، ٤/ ١٨٨٠).

ثناء الصحابة عليه رضوان الله تعالى عليهم

عن عروة[2] قال: قالت عائشة: «كان أبواكَ منَ الذين استجابوا لله والرسول مِن بَعْدِ ما أَصابَهُم القَرْح» (٢٤١٨ صحيح مسلم، ٤/ ١٨٨٠).

---

(١) حراء: جبل من جبال مكة.

(٢) ابن الزبير.

عن عمر بن الخطاب قال: ما عسى أن يقولوا في الزبير؟ رأيت النبيَّ ﷺ وقد نام، فلم يزل (أي الزبير) بالنبي ﷺ يذبُّ عن وجهه حتى استيقظ، فقال النبي ﷺ: «لم تَزَلْ يا أبا عبد الله؟» قال: لم أزل، فِداكَ أنت بأبي وأمي. قال: «هذا جبريل يقرأ عليك السلام، ويقول: لك عليَّ أن أذبَّ عن وجهك شرَرَ جهنَّمَ يوم القيامة» (٣١٧٢ المعجم الأوسط للطبراني، ٢/ ٢٤٩).

أُصيب عثمان بن عفان ﷺ أثناء إمارته برعافٍ شديد، حتى عجز عن الحج، وخشي الناسَ عليه الموت. فجاؤوا إليه يرجُونَه أن يعيِّن أميراً للمؤمنين من بعده دَرْءاً للفتنة وحرصاً على مصلحة المسلمين. وأخبَروه أنَّ الناس ترتضي الزبير ﷺ. فقال لهم: «أما والذي نفسي بيده، إنه لَخَيْرُهُم ما علِمْتُ، وإن كان لأَحَبَّهم إلى رسول الله ﷺ» (٣٥١٢ صحيح البخاري، ٣/ ١٣٦٢). أي إنه يرى أنَّ الزبير ﷺ هو أفضل مَن بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ليتسلَّم منصبَ الخلافة، وأنَّه كان أحبَّهم إلى رسول الله ﷺ. يكفيه شرفاً رضوان الله تعالى عليه أنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستَّة أهل الشورى الذين قال فيهم عمر: «توفِّيَ رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ».

وحفظ الناس للزبير ولأهله رضوان الله تعالى عليهم هذه المنزلة الكريمة التي ارتقوا إليها بما بذلوه في سبيل الله تبارك وتعالى وها هو بيت النبوة المباركة ينوِّه بفضله ويبيِّن منزلته.

عن هاشم بن عروة عن أبيه أن حسن بن علي أوصى في وصيته أن

تزوّجوا إلى آل الزبير، وزوِّجوهم، فإنَّهم أكفاؤُكم[1] من قريش.

ورعه

يرتقي المسلم في معاملة ربّه فيدع ما حرّم، ثم يرتقي ثانية فيدع ما فيه شبهة، ثم يرتقي ثالثا حتى يدع ما ليس به حذرا مما به بأس. وكان الزبير رضي الله عنه تربية رسول الله ﷺ الطيبة والثمرة اليانعة التي أنتجَت فضلاً وخيراً وبرًّا. وسار أهل بيته على هذه السيرة العطرة، فقد روي: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «لما قُتِلَ عمر رضي الله عنه محا الزبير اسمَهُ من الديوان» (٢٤٠ المعجم الكبير للطبراني، ١/ ١٢٢). أي إن الزبير رضي الله عنه أَحَسَّ ببوادر فتنةٍ في الدولة، فأحبَّ أن لا يأخذَ مالاً منها ورعاً من أن يأخذ ما لا يحقُّ له من بيت المال.

تربيته لأهله

إنَّ مِن نِعَم الله تعالى على الإنسان أن يكون تقياً نقياً صالحاً مُصلحاً، وتمام النِّعمة أن نشأ أهل المرء وعياله على هذا المنهج المرضي الكريم. وربما غَفِلَ الإنسان عن توجيه أهله والعناية بهم في غمرة اهتمامه بالعناية بنفسه، ولقد استطاع الزبير رضي الله عنه أن يربي أهله التربية الصالحة التي نشأ عليها حتى غَدَوا من بعده أئمةَ هدىً ودعاةَ رشاد.

عن عمر بن قيس عن أُمه قالت: دخلت على عبد الله ابن الزبير بيته وهو يصلي، فسقطت حيَّةٌ من السقف على ابنه، ثم تطوَّقت على بطنه وهو نائم، فصاح أهل البيت، ولم يزالوا بها حتى قتلوها، وابن الزبير يصلي ما

(١) أكفاؤكم: أي مساوون لكم.

التفت ولا عجَّل. ثم فرغ بعدما قُتلت الحية. فقال: ما بالكم؟ فقالت زوجته: رحِمَك الله، أرأيتَ إن كنّا هُنَّا عليك، يهونُ عليك ابنُك؟

لقد استغرق عبد الله بن الزبير ﷺ في صلاته، والصلاة مناجاة الحق تبارك وتعالىٰ، وإذا كان العبد مع ربه فما يلتفت إلىٰ غيره، حتىٰ أنه لم يَدرِ ما حصل في بيته أثناءَها!

وعبد الله بن الزبير، أُمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تحدِّث عنه خالتُه السيدة عائشة ﷺ قالت: «أَوَّلُ مَوْلودٍ وُلِدَ في الإسلام عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبير، أَتَوْا به النَّبيَّ ﷺ، فَأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ تَمْرَةً فلاكَها ثُمَّ أَدْخَلَها في فِيه، فَأَوَّلُ ما دَخَلَ بَطْنَهُ ريقُ النَّبيِّ ﷺ» (٣٦٩٨ فتح الباري، ٣/ ١٤٢٣).

وفي تفصيل ولادته حديثٌ آخر رواه هشام بن عروة، وفاطمة بنت المنذر بن الزبير، أنَّهُما قالا:

«خَرَجَتْ أَسْماءُ بنتُ أبي بكرٍ حينَ هاجَرَتْ وهي حُبْلىٰ بعَبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ. فَقَدِمَتْ قُباءَ، فَنُفِسَت بعَبْدِ اللَّهِ بقُباء، ثُمَّ خَرَجَت حينَ نُفِسَت إلىٰ رسولِ اللَّهِ ﷺ لِيُحَنِّكَه، فَأَخَذَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ منها، فَوَضَعَهُ في حَجْرِه، ثُمَّ دَعا بتَمْرة، قال: قالت عائشَة: فَمَكَثْنا ساعةً نَلْتَمِسُها قَبْلَ أن نَجدَها، فَمَضَغَها، ثُمَّ بَصَقَها في فِيه. فَإِنَّ أَوَّلَ شَيءٍ دَخَلَ بَطْنَهُ لَريقُ رسولِ اللَّه ﷺ. ثُمَّ قالت أَسماء: ثُمَّ مَسَحَهُ، وصَلَّىٰ عليه[1]، وسَمَّاه «عَبْدَ اللّه». ثُمَّ جاءَ وهُوَ ابنُ سَبْعِ سِنينَ و ثَمانٍ لِيُبايعَ رسولَ اللَّه ﷺ، وأَمَرَهُ بذَلِكَ الزُّبَير. فتَبَسَّمَ رسولُ اللَّهِ

(١) صلَّىٰ عليه: أي دعا له.

ﷺ حينَ رآهُ مُقْبِلا إليه ثُمَّ بايَعَه » (٢١٤٦ صحيح مسلم، ٣/ ١٦٩٠).

وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كثيرَ الصوم والصلاة. بويع له بالخلافة سنة أربع وستين، وقُتل سنة خمس وستين. واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخرسان. حجَّ بالناس ثماني حجج. روي أنه كان إذا صلَّى كأنه عودٌ من الخشوع، لا يتحرك ولا يميل. قال مجاهد: «كان إذا سَجَدَ يطوِّل حتى تنزلَ العصافيرُ على ظهره، لا تَحسَبُهُ إلا جَذْماً[1]».

يوم الجمل التقى جيش طلحة والزبير بجيش علي؛ فخرج طلحة والزبير من جيشهما، وخرج علي من جيشه. فقال علي للزبير: « تذكر يوم مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم ». فنظر إليَّ، فضحك وضحكت إليه. فقلت له: « لا يدع ابن أبي طالب زهوه »، فقال لك رسول الله ﷺ: (ليس به زهو، لتُقاتلَنَّه وأنت ظالمٌ له). قال: « أللهمَّ نعم، ولو ذكرت ما سرتُ مسيري هذا، والله لا أُقاتلكَ أبداً ». فانصرف علي إلى أصحابه فقال: « أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم ». ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: « ما كنتُ في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا ». قالت: « فما تريد أن تصنع؟» قال: « أُريد أن أدعهم وأذهب».

ولعل الذي شدَّ من عزيمة الزبير على الرجوع أنه رأى عمار بن ياسر رضي الله عنهما في جيش علي، وقد قال النبي ﷺ لعمار: « يا عمار، تقتلك الفئة الباغية ». فعلم أنَّ علياً كرَّمَ الله وجهه على الحق. (الكامل في التاريخ،

(١) الجَذْم: أصل الشيء، والجذمة: القطعة من الجبل ونحوه.

٣/ ٢٤٠ـ٢٤١).

ولحق عمرو بن جرموز بالزبير بن العوام، فسأله الزبير: ما وراءك؟ فقال: إنما أريد أن أسألك، وحضرت الصلاة. فقال ابن جرموز: الصلاة. فقال الزبير: الصلاة. فلما نزلا، استدبره ابن جرموز فطعنه مِن خَلفِه، فقتله، وأخذ فرسَهُ وسلاحَهُ وخاتِمَهُ، وتركه مع خادمه. فقام ودفنه بوادي السباع، ورجع ابن جرموز يخبر الناس بما فعل. (الكامل في التاريخ، ٣/ ٢٤٤).

وقيل إنَّ عمرو بن جرموز أدركه بوادي السباع[1] نائماً في وقت القيلولة فقتله غدراً (البداية والنهاية، ٧/ ٢٥٠). وكان قَتلُهُ يوم الخميس لعشرٍ خَلَوْنَ من جمادىٰ الأولىٰ. وقيل في رجب سنة ست وثلاثين يوم «وقعة الجمل»، وله سبع وستون. وقيل ستة وستون سنة. وجلس عليٌّ ﷺ علىٰ قبر الزبير يبكي هو وأصحابه حزناً عليه.

ولما وَلِيَ مصعب بن الزبير البصرة اختفىٰ ابن جرموز عن الأنظار. فقال مصعب: ليخرج ابن جرموز فهو آمن، أيظنُّ أني أقيِّده بأبي عبدالله ـ يعني أباه الزبير ـ ليسا سواء؛ أي إنه أدنىٰ من أن يُقتل بالزبير ﷺ.

وصيته يوم وفاته

عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير «يوم الجمل» يوصيني بدينه، ويقول: يا بُنيَّ، إن عجزتَ عن شيء منه فاستعن عليه مولاي. قال: فوالله،

(١) وادي السباع علىٰ بعد ٣٩ كلم من البصرة.

ما دريت ما أراد حتىٰ قلتُ: يا أَبَـة، مَن مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله، ما وقعتُ في كربة من دَيْنِه إلا قلتُ: يا مولىٰ الزبير، اقضِ عنه دَيْنَه، فيقضيه. فقُتل الزبير ﷺ ولم يدَعْ ديناراً ولا درهما، إلا أَرضِين منها الغابة، وإحدىٰ عشرة داراً بالمدينة، ودارَيْن بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر. قال: وإنما كان دَيْنُه الذي عليه أنَّ الرجلَ كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا ولكنَّهُ سَلَفٌ، فإني أخشىٰ عليه الضَّيعة. (٢٩٦١ صحيح البخاري، ٣/ ١١٣٨).

قال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدَّين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف. قال: فلقي حكيم بن حُزام عبد الله بن الزبير، فقال: يا ابن أخي، كم علىٰ أخي من الدين؟ فكتَمَه، فقال: مائة ألف. فقال حكيم: والله، ما أُرَىٰ أموالُكُم تَسَعُ لهذه. فقال له عبد الله: أرأيتُكَ إن كانت ألفَي ألفٍ ومائَتَيْ ألف؟ قال: ما أُراكم تطيقون هذا، فإن عجزتُم عن شيءٍ منه فاستَعينوا بي.

قال: وكان الزُّبير اشترىٰ الغابة بسبعين ومائَة ألف، فباعها عبدُ الله بألْفِ ألفٍ وستمائة ألف. ثم قام فقال: من كان له علىٰ الزبير حقٌّ فليُوافِنا بالغابة.. فأتاه عبدُ الله بن جعفر ـ وكان له علىٰ الزبير أربعمائة ألف ـ فقال لعبد الله: إن شئتُم تَرَكْناها لكم. قال عبدُ الله: لا. قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخِّرون إن أخَّرتم، فقال عبد الله: لا. قال: فاقطعوا لي قطعة، قال: من ها هنا إلىٰ ها هنا، قال: فباع منها فقضىٰ دَيْنه فأَوفاه، وبقيَ منها أربعة أسهم ونصف.

فقَدِمَ على معاوية ـ وعنده عمرو بن عثمان والمُنذر بن الزبير وابن زَمْعَة ـ فقال له معاوية: كم قُوِّمَت الغابة؟ قال: كلُّ سهمٍ مائةُ ألف، قال: كم بقيَ؟ قال: أربعةُ أسهُمٍ ونصف. فقال المنذر بن الزبير: قد أخذتُ سهماً بمائة ألف. وقال عمرو بن عثمان: قد أخذتُ سهماً بمائة ألف. وقال ابن زَمْعَة: قد أخذتُ سهماً بمائة ألف. فقال معاوية: كم بقي؟ فقال: سهمٌ ونصف، قال: أخذتُه بخمسين ومائة ألف. قال: وباع عبدُ الله بن جعفر نصيبَه من معاوية بستمائة ألف.

فلما فرغَ ابنُ الزبير من قَضاء دَيْنه، قال بنو الزبير: اقسِمْ بيننا ميراثَنا. قال: لا والله، لا أَقسِمُ بينَكم حتى أُنادي بالموسم أربع سنين: ألا مَن كان له على الزبير دَيْنٌ فليأتنا، فلنَقْضِه. قال: فجعل كل سنةٍ يُنادي بالموسم. فلما مضى أربعُ سنين قَسَمَ بينهم. وكانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ورفعَ الثُّلُثَ فأصابَ كُلَّ امْرأَةٍ أَلفُ أَلفٍ ومِائَتا أَلْف، فَجَميعُ مَالِهِ خَمسونَ أَلفَ أَلفٍ ومِائَتا أَلف. (٢٩٦١ صحيح البخاري، ٦/ ٢٢٧).

رضي الله تعالى عن الزبير بن العوام وعن آل بيته الطيِّبين الطاهرين وعن أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أللهم إنّا نسألك أن ترزقنا حبَّك وحبَّ نبيِّك وحبَّ أصحاب نبيِّك وحبَّ الصالحين من عبادك، ووفِّقنا يا ربَّنا للاقتداء بهم والاهتداء بهم، واجمعنا بهم في مستقر رحمتك وفي جنة رضوانك يا ربّ العالمين.

أَقامَ على عهدِ النبيِّ وهَدْيِهِ
حَوَارِيهِ والقولُ بالفِعْلِ يَعْدِلُ

أقامَ على منهاجِهِ وطَريقِهِ
يُوالي وليَّ الحقِّ والحقُّ أَعدَلُ

هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي
يَصُولُ إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ[1]

إذا كَشَفَت عن ساقِها الحربُ حَشَّها[2]
بأَبيضَ سبَّاقٍ إلى الموتِ يَرْقَلُ

وإن امرءًا كانت صفيَّةُ أُمُّهُ
ومَن أَسَدٌ في بيتِها لَمُرْفَلُ

له مِن رسولِ اللهِ قُربى قريبةٌ
ومِن نُصرةِ الإسلامِ مَجْدٌ مؤثَّلُ[3]

فَكَم كُربةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بسيفِهِ
عنِ المُصطفى واللهُ يُعطي فَيُجْزِلُ

ثَناؤُكَ خيرٌ مِن فِعالِ مَعاشِرٍ
وفِعْلُكَ يا ابنَ الهاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ

---

(١) محجَّل: مقيَّد. (٢) حشَّها: ضمَّها. (٣) مؤثَّل: مهيَّأ لها.

إن مطبوعات العباد مرخصة بالقرار رقم "٥٣"
تاريخ ١٩٧٩/٣/١٧ الصادر عن وزارة الاعلام

الناشر : جماعة عباد الرحمن ـ بيروت
ص.ب. ١٥٥٠١٧ (بريد البسطة)
هاتف : ٦٥٤٠٨٨ / ٠١